

التقليد الحيّ برهان القيامة

"يشفيك يسوع المسيح"

يوم الفصح، تبدأ الكنيسة تقرأ سفر أعمال الرسل بدل المقاطع من رسائل بولس الرسول. واليوم في الأحد الثالث من الفصح -أحد المخلع سمعنا كيف شفى بطرسُ أينيّاسَ المخلع، وكيف أقام بعد ذلك طابيثا.

الشبه بين أعمال بطرس هنا وبين أعمال معلمه واضح. فناهيك عن التشابه بين إقامة اينيّاس المخلع مع إقامة مخلع بيت حسدا، هناك الشبه أيضاً بين إقامة طابيثا وإقامة ابنة يائرس. هنا إذن يشفي بطرس ويُقيم من الأموات تماماً كسيّده، لا بل باسم وبقوّة سيّده، كما قال للمخلّع "يا أينيّاس يشفيك يسوع المسيح قم...". كما سبق الربّ يسوع وقال لمخلع بيت حسدا "قم واحملُ سريرك" (يو ٥، ٨). وهناك مع طابيثا يقلّد سيّده -يأتي إلى حيث كانت الصبيّة ويترك الجميع خارجاً، كما فعل سيّده عندما أدخل معه فقط أهل الصبيّة، ويقول لها قومي، حينها تجلس فيناولها يده ويقدمها لذويها.

بيدو وبشكل قاطع أنّ بطرس يعمل تماماً ما عمله سيّده. أليس هذا هو التقليد؟ أي متابعة ما قام به من سلّمنا؟ أي أن نحمل اسمه ونعمل بتوبته؟ يكون التقليد ميتاً حين يصير مجرد روايات تقليديّة عن الماضي دون قوّة. لكن التقليد المسيحيّ هو تقليد نابع عن قيامة، ويتابع عمل قائم وليس ميت. التقليد ليس حفظ معلوماتٍ وتناقلاً؛ أبداً. التقليد الحيّ هو متابعة عمل يسوع في أعمالنا. تقليدنا المسيحيّ ليس تقاليداً، أي عادات وقصصاً وأخباراً جميلة أو عكس ذلك عن ماضٍ نريد أن نحفظه حيّاً في ذاكرة الناس وذاكرتنا. التقليد المسيحيّ هو تقليد حيّ، أي استلام رسالة من سبقنا، فنعمل كما عملوا بسلطانهم وباسمهم ولغابتهم.

لهذا شفى بطرس وأقام مقلداً تماماً سيّده، ليس كمسرحيّة بل كحدث، إذن ليس كرواية بل كمتابعة. التقليد الحيّ هو يسوع الحيّ يعمل فينا، لأننا نعمل مثله وباسمه: "من يؤمن بي يعمل الأعمال التي أنا أعملها...".

هذا التقليد وليس سواه، هو البرهان القاطع على قيامة الربّ يسوع. ولهذا تقرأ الكنيسة فصول أعمال الرسل بدءاً من الفصح، لأنّ كتاب أعمال الرسل هو البرهان الأوضح عن قيامة يسوع. فهل يُعقل أن يُقيمَ ميتٌ ميتاً؟ أو هل من الممكن أن نأخذ حياةً من ميت؟ لهذا السبب يستطيع بطرس أن يقول لإينياس: "يسوع يشفيك" لأنّ يسوع حيّ. وإلى يسوع يصلي بطرس فتقوم طابيثا لأنّ يسوع حيّ.

كما شفَى يسوع وأقام موتى ليقودنا إلى الآب وتكون لنا الحياة باسمه، يشفي هنا بطرس ويقيم لكي "يعود الجميع إلى الربّ"، كما يقول النصّ في أعمال الرسل، ليعودوا إلى يسوع الحيّ الذي به نذهب إلى الآب.

"العمل الذي أعطيتني إياه أتمّمته"، صرخ يسوع إلى الآب، أي أنه عرفنا بالآب وبقودنا إليه. وهذا العمل تماماً سلّمنا إياه لتتممه نحن بعد صعوده بواسطة الروح النازل إلينا في العنصرة. وهذا هو التقليد الحيّ الذي يجعل عمل يسوع حيّاً في العالم. هكذا بدأ فهم التقليد وممارسته، كما ظهر مع بطرس، حين قلّد سيّده، أي تصرّف مثله وتصرّف بقوّته، أي جعل صعود يسوع إلى السماوات لا يعني غيابه، بل بالإيمان وبالروح جعل يسوع يتابع عمله. وهذه المسؤولية هي التقليد الذي علينا أن نحمله ونمارسه ونحياه. الإنجيل هو أوّل قسم من التقليد، وهو حياة يسوع ومن بعده أعمال الرسل؛ ثمّ حياة وأعمال كلّ القديسين عبر الدهر هي الأقسام التالية. وهذا التاريخ- الخلاصيّ كلّّه لا يشكّل لنا ذاكرة وإنّما طريقة. الإنجيل ليس كتاباً شرائعياً ولا رواية عن يسوع. الإنجيل هو حياة يسوع، ويسوع حيّ إلى الأبد. سيكون الإنجيل ميتاً إن لم يتم اليوم ما تمّ فيه أيام المسيح. وسيكون الإنجيل حيّاً إن كررنا بإيماننا وقوّة سيّده كلّ ما جاء فيه من كلمات وأعمال.

كتاب أعمال الرسل هو تقليد حيّ يشكّل استمراراً لحياة وتعليم وأعمال الربّ يسوع القائم من الأموات. وهذه الحياة، أي هذا التقليد، تجعلنا نثق أن كلّ من يؤمن به يعمل الأعمال التي عملها. آمين.